السلطان عبد الحميد
والقضية الفلسطينية

للدكتور

عيسى الحسن

بدأت نهاية الدولة العثمانية يوم وقف السلطان عبد الحميد فى وجه المطامع اليهودية عن تحقيق أهدافها فى فلسطين وحتى نتمكن من فهم دور اليهود فى أسقاط السلطان عبد الحميد الذى به انتهت دولة الخلافة وهيبتها - يجب أن نبدأ من القرن التاسع عشر حيث كانت الدولة العثمانية تعطف على اليهود عملا بتوجيهات الدين الاسلامي الذى يوصى بأهل الذمة خيرا وقد رحبت بالمهاجرين اليها منهم عند فرارهم من الظلم الأوروبى ولعل فيما كتبه صاحب «ثمرات الفنون» يوضح مدى القسوة التى كانت تعامل بها الطوائف من قبل الدول الاخرى، فقد أورد خبرا جاء فيه «...وقال الكونت المذكور - هنرى كرسنسكى فى كتابه «تاريخ القوزاق الاقويين» فى وجه ١١١ ما محصله «وشرع الروس يقتلون اليهود والكاثوليك والبروتستانت نساء رجالا واطفالا وكانوا يشنقون الرجل البولوني الكاثوليكي وبقربه رجل بروتستنتى ويشنقون بينهما كلباً مبالغة فى الاحتقار وفى سنة ١٧٦٧ حرقوا بالنار الوفا من اليهود دون أن يرحموا صغيرا أو كبيرا إلى أن قال فى وجه ١٣٠ أماالعثمانيون فلم يبد منهم الا الإحسان لكل من أم بلادهم ومادخلت الدولة العثمانية بلدًا الا وعمرها عدلها وصانها شرعها وقد نشرت روسيا اعلانا عموميا بالامان لمن يروم العودة الى وطنه فصدق بعض القوقاز الذين احتموا بالبلاد العثمانية قولها فعادوا نحو أوطانهم فما استقرت اقدامهم بالبلاد الروسية حتى سقوا كؤوس المنون ولم ينج أحد[١] وفى مكان آخر ذكر صاحب ثمرات الفنون فى المعنى نفسه قول المسترفون والمستر واهويلم فى كتابهما المدعو «ارتكاب الأوروبين» وجه ٢٠٨ ما تعريبه بالحرف الواحد «ان ابناء جلدتنا يتخطفون المسلمين من كل جانب ومع هذا نرى هؤلاء يحسنون اليهم ويحمونهم من بعضهم البعض ويحرسون معابدهم ورؤساءهم الروحيين فكأن المسلمين لم يذوقوا مر ما فعله متوحشو أوروبة من الفضائح فيافضيحة من يقول اننا قوم عادلون وهذه اعمالنا التاريخية تشهد علينا بعكس ذلك».

وقال فى وجه ١٥٥ من الكتاب نفسه «لقد قُتِلَتْ ألوف من اليهود نساء واطفالا ورجالا فى أزقة أشهر المدن الأوروبية ولم يعد لاولئك المساكين مأوى أمين الا بلاد الدولة العثمانية فهى

(١) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٩٨ ص ٢.

بلاد الراحة والامن والسلام» وجاء فى الكتاب المدعو «تاريخ اليهود» وجه ٥٤٨ مانصه (لقد كثر قتل اليهود وحرقهم بالنار دون أستثناء الصغير منهم والكبير فى كافة المدن الاوروبية ولم ينج من العذاب الا القاطنون فى بلاد الدولة العثمانية بلاد الأمن والسلام»[٢]. ومن الادلة على عطف الدولة العلية على اليهود عطفا وصل إلى درجة المحاباة والدلال أن «يهوذا حتسيد» حاخام طائفة الاشكناز[٣] استدان مبالغ كبيرة من أهالى القدس لينفقها على شؤون طائفته ثم عجز أو تظاهر بالعجز عن تسديدها فأصدر السلطان محمود الثانى إرادته السامية عام ١٨١٦ بإعفاء الاشكناز من هذه الديون.

وقد بدأ شعور الدولة يتبدل نحو اليهود فى أواخر عهد السلطان عبد المجيد حيث بدأ أعوانه يشتبهون فى اليهود وسلوكهم الا ان تدابير صارمة لم تتخذ بحقهم بل أكتفى بفرض المراقبة على نشاطاتهم أما فكرة أنشاء الوطن القومي اليهودى في فلسطين فقد تبنتها بريطانيا منذ انشأت قنصليتها فى القدس عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ وأعلنت فيه حمايتها لليهود مع حملة صحفية بريطانية تؤيد أمانى اليهود فى فلسطين ظهرت فى مقالات التايمز فى السابع عشر والسادس والعشرين من أغسطس ١٨٤٠ تحدثت فيه عن إمكان قيام دولة يهودية بجهد بريطاني[٤] وقد زار السيد لورنس أوليفانت - البريطاني فلسطين عام ١٨٧٩ وقام خلالها بدراسة سرية لشؤون الزراعة والرى والثروات الطبيعية ثم عاد إلى لندن ليتقدم للحكومة البريطانية وكانت برئاسة اليهودى دزرائيلي بمشروع للاستفادة من الأراضي المحيطة بنهر الاردن على أن يقوم اليهود بأستثمارها والسكن فيها فوافقت عليه الحكومة البريطانية وتبنته، ولما عاد أوليفانت إلى الاستانة وأجرى اتصالات مع الحكومة العثمانية بشأن المشروع استدعاه السلطان عبد الحميد وأفهمه بصراحة انه لن يسمح لليهود مطلقا بأستعمار فلسطين لاعتقاده بأن غرضهم الحقيقى هو إقامة مملكة على أساس الدين وأضاف :... «إن اليهود يستطيعون بسلام وأطمئنان أن يعيشوا فى أى جهة من الدولة العثمانية ماعدا فلسطين فأستنجد لورنس

---

(٢) المرجع السابق عدد ١٩٦ص ٢

(٣) فى علم ١٨٥٠ كان عدد اليهود فى فلسطين ١٧ ألف يهودى وفى الدولة العثمانية ١٥٠ ألف يهودى. مجلة ثمرات الفنون عدد ١٩٦ ص ٢

(٤) أنيس الصايغ الهاشميون والقضية الفلسطينية ص ١٤، ١٥.

أوليفانت سفيرى بريطانيا وامريكا لمساعدته على اقناع السلطان لتغيير موقفه ولكن السلطان رفض تدخلهما وأمر بإخراج أوليفانت من البلاد... وقام السفير الأمريكى المستر دلس بمساع جديدة لحمل السلطان على السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين واستملاك الأراضى فيها فأفهمه السلطان بصراحة وحزم أن لا أمل لليهود فى فلسطين وأنه إذا كان اليهود يريدون عملا خاليا من أى غرض أو هدف سياسي فأمامهم ما يشاؤون من سهول العراق وسوريا والأناضول فلم يكتف السلطان عبدالحميد بالرفض بل وقع قانونا عام ١٨٨٠ يمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين واستملاكهم الأراضى فيها وبعد ذلك بعامين أحتلت بريطانيا مصر وأعلن فى الوقت نفسه عن قيام الحركة الصهيونية فضاعف هذان الحادثان من قلق الدولة العثمانية ومخاوفها من المطامع اليهودية ... إذ لوحظ بعض التحايل من قبل اليهود على القانون .

حيث أستطاعوا بالتعاون مع الدول الاجنبية وبمساعدة بريطانيا وأمريكا خاصة مواصلة التحايل على القوانين العثمانية مستغلين ماكان يسود الادارة العثمانية آن ذاك من تدهور ورشوة فلم يجد السلطان بدا من ان يتدخل بنفسه واصدر أوامره الشخصية المشددة بمنع أى يهودى من دخول فلسطين الا اذا كان يحمل تأشيرة تركية وجوازاً رسميا كما أمر بطرد جميع اليهود الذين يثبت أنهم دخلوا الاراضى العثمانية بصورة غير شرعية فتدخل السفير الامريكى تنفيذا لتعليمات مشددة تلقاها من واشنطن وباريس ليضغط على الحكومة لالغاء الأوامر فلم يفلح أكثر من أن الصدر الاعظم سعيد باشا وافق على السماح لليهود الذين يحملون جوازات سفر قانونية بالاقامة فى فلسطين مدة أقصاها ثلاثة أشهر وظل السلطان عبد الحميد متشددا فى منع اليهود من الهجرة إلى فلسطين واستملاك الاراضى فيها ووقف العديد من المساعي والجهود التى كان ممثلوا بريطانيا وامريكا يبذلونها بأستمرار لحمله على العدول عن خطته واستمر هذا النضال العنيف مدة عشرة أعوام تقريبا دون أن تستطيع الدولتان الفوز بأمنيتهما وفى عام ١٨٩١ أرسل قنصل امريكا إلى حكومته رسالة يقول فيها إن تركيا المسلمة لم ترض بأقامة مملكة لليهود فى فلسطين وفي عام ١٨٩٣ أصدر السلطان أوامر جديدة بمنع اليهود من شراء الاراضى فى فلسطين ثم دخلت المفاوضات بين السلطان عبد الحميد والصهيونية مرحلة جديدة أكثر جدية وصراحة وتصميما من قبل حيث مثُل تيودور هرتزل الزعيم الصهيوني بين يدى عبد الحميد سنة

١٨٩٣ وكان يرافقه موشي لاوى الحاخام الاكبر للدولة العثمانية وبعد مقدمة مليئة بالـرياء والنفاق والتملق بين له حاجة أمتها للحماية والرعاية التى تلقاها من الدولة العلية ثم دخل فى صلب الموضوع الذى جاء من أجله بمناورة كلامية يحسنانها فكان السلطان الداهية حريصا على ان يسبر غورهما ويكشف أمرهما دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال ويصغي اليهما برحابة صدر وهدوء فقال أحدهما إن عبيدك اليهود ياأصحاب الجلالة مدينـون لكم ولا جدادكم العظام وللشعب التركي المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التي يلقونها ولن ينس التاريخ مالقيه الشعب اليهودى من العطف والرعاية التى رأوها وهم يدعـون لكم بطـول العمر(٥) قال السلطان أريد أن عرف مقاصدكما الحقيقية التى طلبتم مقابلتى من أجلها: فأجابا بتؤدة وتحفظ: (إننا نجرأ بالبيان لسدتكم الصمدانية ان عبيدكم اليهود المشمولين بألطافكم الملوكية يشعرون بحسرة وحاجة الى وطن يلم شعبهم ولا ينسون لكم هذه المنة والفضل مدى الازمان وسيذكرونه لكم بالتعظيم وبالإكبار والتبجيل.

فقال السلطان كنا نظن ان اليهود فى مملكتنا يتمتعون بكل عز ورفاه مشمولين بالعدالة والامن كما نظن بأنكم ممنونون من حسن المعاملة التى يلقاها اليهود اسوة ببقـايا الرعايا العثمانيين لهم مالهم بدون تمييز فهل لكم شكاية من معاملة غير عادلة لا نعرفها نحن فأجابه برهبة وخشوع أستغفر الله ياصاحب الجلالة ان رعاياكم اليهود يتمتعون بكل طمأنينة وأمتنان ولا توجد لهم أي شكاية وكل ماهنالك اننا نسترحم منكم ولو قطعة أرض رمزية لتكون لهم مركزا يحجون اليه فى ظل دولتكم وليقوموا فيه بالصلاة والدعاء والشكر لسدتكم العلية ودوام حياة جلالتكم فأجابهم السلطان بإقتضاب لا يمكننا أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن باتجاه أمتكم التى تتمتع بخيرات البلاد كمواطنين عثمانيين بل وأكثر وأظنكما تذكران ماكان يلقاه اليهود قبل لجوئهم إلى بلادنا من الحقارة والذل والاضطهاد فى مختلف البلادالتى هاجروا فيها وأدار - السلطان وجهه إلى الحاخام موشي لاوى بنظرة حادة وقـال أليس ذلك ياحاخـام أفندى - فأجابه الحاخام بتلكؤ وتعتعة الله يزيد فى عمر جلالتكم وتكلم تيودور هرتزل فقال هل لى أن أتقدم بعرض على جلالتكم بأن تقدروا ان تحسبوا ما تستنسبونه من ثمن للاراضى

---

(٥) كان اليهود يجتمعون فى مختلف المناسبات للصلاة والدعاء للسلطان عبدالحميد راجع الجوائب عدد ٨٥٦ السنة السابعة عشرة الأحد ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٤هـ

التى تعود ملكيتها إلى جلالتكم في فلسطين بشرط أن يدفع اليهود بدلها نقدًا مع الزيادة مهما بلغ وأرتفع الثمن من ملايين الليرات الذهبية وهنا غلا الدم فى عروق السلطان وصاح بهما هل وصل بكم الامر لتعرضا علي ثمنا لقطعة أرض عزيزة من أرض الوطن المبذولة فيها دماء الشهداء التى لا تباع ولا يمكن التفريط بشبر منها بل نحن على استعداد لكي نبذل المزيد من الدماء للمحافظة عليها اكثر مما بذلناه ثم نهض علامة على انتهاء المقابلة فأنسحب هرتزل ولاوى يجران ذيول الخيبة ويقال إن اليهود تدارسوا فيما بينهم نتائج هذه المقابلة ودعوا الى مؤتمر عقدوه فى مدينة بال في سويسرا عام ١٨٩٧[٦] ضم أكثر من تسعمائة شخص يمثلون ستمائة جمعية يهودية وفى هذا المؤتمر أتخذت مقررات بروتوكولات حكماء صهيون المشهورة ويقال أن هرتزل قد عرض فى هذا المؤتمر فكرة أقامة وطن قومي لليهود في غير فلسطين فى أوغندا مثلا بعد أن يئس من السلطان عبد الحميد الا ان بقية المؤتمرين قرروا الزحف الافرادى المتواصل إلى فلسطين للتمركز فيها والسكن في تلك البقاع المقدسة بصفة زائرين أو مجاورين وفى ذلك الوقت زار الاستانة الامبراطور غليوم الثانى الالماني ومنها توجه إلى زيارة القدس فأغتنم اليهود الفرصة ورجوه التوسط مع مضيفه لمنحهم مايريدون وتوسط الامبراطور فعلا ولـكن السلطان لم يتزحزح عن موقفه قيد أنمله بل علي العكس من ذلك جعلته هذه الوساطـه يتوجس خيفة فأصدر اوامره المشددة بتقييد اليهود الزائرين للاماكن المقدسـة بالبطاقـات الحمراء التى ما لبثت ان عرفت باسم الجواز الاحمر وهذه لا تبيح بقاء اليهود الزائر فى فلسطين أكثر من شهر واحد ومع هذا لم ييأس اليهود فأوفدوا نائب سلونيك عمانوئيل قرة صو أفندى ليعرض على السلطان خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية للخزينة السلطانية الخاصة ومبلغ أكبر تحدده الحكومة العثمانية يعطي لها كقرض بلا فائدة وإلى أجل غير مسمى مقابل اعطاء اليهود المثلث القائم بين يافا والبحر الميت وكانت الدولة تخوض فى ذلك الحين حربا مريرة مع روسيا وتجتاز أزمة أقتصادية خانقة ومع هذا غضب السلطان وطرده من حضرته.

وتقول بعض المصادر التاريخية أن تيودور هرتزل مالبث أن أعاد الكرة وقابل السلطان بعد توسط سفيرى بريطانيا وامريكا وعرض عليه ان ينشىء اليهود لدولته اسطولا حربيا وتجاريا يفوق ويستلب من الاسطول البريطانى سيادة البحار... فأبلغه السلطان انه يرفض جميع

---

(٦) حسان على حلاق (دكتور): موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ ص ٢٢٨١ .

العروض اليهودية من أساسها وانه لن يسمح لهم بأستعمار فلسطين والثابت قطعا أن مكاتبات جرت بينهم حول هذا الموضوع وأن السلطان ظل متمسكا بموقفه حتى النهاية طالبا إلى اليهود ان يحتفظوا بملاينهم إلى الحين الذى يستطيعون فيه الحصول على فلسطين ولكن .... على أنقاض دولته العلية العثمانية(٧) وضاق اليهود ذرعا من تصلب السلطان عبد الحميد الثاني تجاههم فأتخذوا مقررات جديدة خلاصتها محاربة السلطان عبد الحميد وبذل كل جهد لازاحته عن العرش(٨) واللجوء إلى الاغتيال اذا لزم الامر فبدأوا يبثون الدعايات ضده عن طريق جمعياتهم السرية والماسونية في الصحف الاجنبية وأعدوا مؤامرة لاغتياله بواسطة فوضوى أرمنى كان السبب في أختياره خوفهم من عدم نجاح هذه المؤامرة فلا يلحق حينئذٍ باليهود أي ضرر وفعلا انفجرت قنبلة موقوتة في عربة السلطان بعد ظهر الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥وللعناية الالهية كان السلطان قد وقف مع شيخ الاسلام يبادله بعض الحديث فتأخر بذلك عن الركب فترة من الوقت انفجرت القنبلة خلالها وكان من نتيجة هذه المؤامرة المذابح التى تعرض اليها الأرمن وثورتهم في ذلك العام وعندما فشل اليهود فى محاولتهم هذه توسلوا بوسائل دنيئة اخرى فلفقوا قصصاً وحكيات لا يزال الكثيرون من الناس يؤمنون بها وكأنها حقائق ثابتة ... منها ان السلطان قد أغرق ثلث أو نصف أعضاء مجلس المبعثان العثمانى الاول في البسفور ... وأنه مالبث أن أغرق المئات من الطلاب.

والزعماء المعارضين في البحر عن طريق ربط أرجلهم بالحجارة الثقيلة ورميهم فيها - من سراى بروني(٩) ومنها وجود سوء استعمال وسرقات فى مشروع سكة حديد الحجاز واحتفاظ

---

(٧) الحرب الصليبية الأوروبية التاسعة ص ١١٢ - ١١٤.

(٨) لمعرفة حقيقة الدونمة والماسونية في عزل السلطان عبد الحميد عن طريق الاتحاد والترقي راجع كتاب الماسونية للدكتور محمد علي الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٥ وكتاب - الماسونية فى العراء للدكتور محمد على الزغبى ص ١٧٤ - ١٧٩ حيث ذكر ضبط أحد جلسات محفل سلانيك الاكبر التى تم فيها المطالبة والتخطيط لاسقاط عبد الحميد وكما ورد فى مجلة التحرير العدد الثاني كانون الثاني ١٩٣٩ الذى تصدر فى حمص وتطبع فى مطابع الترقي في دمشق.

(٩) وهم الذين كانوا كثيرا ما يدعون له كما جاء في صحيفة الجوائب (السبت اجتمع الاسرائليون فى معبدهم وتلوا ادعية خيرية بطول بقاء مولنا وسلطاننا المعظم وبتأييد دولته العلية ونصرت عسكره) الجوائب عدد ٨٥٦ سنة ١٧ ربيع الثانى ١٢٩٤هـ

(أ٩) اسرار الماسونية الجنرال جواد رفعت اتلخان ص ٥٩

السلطان لنفسه بالاعانات التي جمعت بمعرفته من اقطار العالم الاسلامي مع أنه حينا استتب الامر للاتحاديين لم يُعْلَن قط عن اسم نائب أو زعيم أو طالب قد رُمِيَ في البوسفور أو يكون مفقودا لم يعرف مصيره هذا من جهة ومن جهة أخرى أشادوا - برجالهم مثل مدحت باشا أبي الاحرار وهو رئيس جمعية «تركيا الفتاه» اليهودية التى أطاحت بالسلطان عبد الحميد وقتلت السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد وسلفه[10] وكان عملهم لتقويض الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد في ميدانين ميدان خارجي بمالهم من نفوذ ومؤسسات وتحكّم في الدولة الاوروبية وميدان داخلي في تغذية الروح القومية الانفصالية لعناصر المملكة المختلفة من عرب وأكراد وشركس وأرناؤط وأرمن وغيرهم وأحزاب وجمعيات سرية زودتها الصهيونية بـ (عقائديات) حسنة المظاهر ولها في كيان الأمة فعل الديناميت المتفجر حتى أتت الحركات والجهود المختلفة ثمارها فجعل حزب الاتحاد والترقي (اليهودى الماسوني) مركز عمله سرا في (سلانيك) وقد اختارها لأن فيها من غير الجاليات الاجنبية الكثيرة عددا من المحافل الماسونية التى كانت عونا لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيهم ثم قويت حركات المعارضين حتى صارت علنية بعد السرية وتجاوب مع معارضة (سلانيك) الأرمن وسائر الاقليات تحت شعار (الدستور)[11] أما الشبان العرب فقد أهداهم التجسس القومي الذى كان الاجانب يؤرثونه لهم[12] من حيث لا يشعرون بهم وكانت الارساليات الاجنبية ومدارس القنصليات تذر رماد الوعي القومي .. واغتنمت المدارس الأجنبية المنتشرة في المملكة فرصة استثنائها من رئاسة الدولة فألقت في أفئدة تلاميذها النصارى الرعب من المسلمين لتنفرهم من الامبراطورية العثمانية ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك ببعض التآليف التى لم تتورع عن الطعن في الاسلام والتشهير برسوله...[13] ثم جاء الظرف الذى أضطر فيه السلطان عبد الحميد للعمل بموجب الدستور العثماني فى ٢٤ تموز ١٩٠٨ وفي هذه المناسبة شدا الشعراء بمجد السلطان فرحين باعلان الدستور منهم الامير شكيب ارسلان الذى يقول:

ألا يابنى عثمان حسبكما شكـــــرا   لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبـــرى

(١٠) راجع كتاب التورات سلامة موسى ص ٧٢ - ٧٩.

(١١) مجلة العربي عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الافغاني.

(١٢) التأريث الأغراء بين القوم وايقاد النار.

(١٣) مجلة العربى عدد ٢١٩ مقال الاستاذ سعيد الأفغانى.

والهم مولانـا الخليفة ظلــــــــــه قياما علي الدستور فى الملة الغـــــرا
تداركها رمقا باكسير ناظـــــــــر اذا مال نحو الترب سيره تبـــــرا[١٤]

ويسجل الاستاذ خليل طوطح شيئا عن تاريخ هذه الحقبة فيقول « .... وكان شعار الناس قاطبة حرية عداولة مساواة فكثر الفساد وعم التعدى وضعفت الادارة الملكية وسادت الفوضى وضوئلت هيبة الحكومة وطمح. الناس الى احتقار الحكام وجهلوا معنى الحرية فظنوها الاشتراكية أو الفوضوية فكان الرجل ينهب مال غيره ويستبد بالضعيف واذا عنفته أو زجرته قال حرية مساوة[١٥] ولكن سرعان ماعاد السلطان والغى الدستور والعمل به ولكن جمعية الاتحاد والترقى كانت قد تغلغت واستشرت وزحفت فرقة من الجيش نحوالعاصمة استانبول بقيادة محمود شوكت الفاروقي «وهنا يسجل السلطان عبد الحميد موقفا حقن به الدماء فى الوقت الذى كان يستطيع ان يقاوم بحرس قصره ويرد هذه الفرقة ريثما تحضر فرق الجيش الاخرى لنصرة السلطان[١٦]» يقول الاستاذ الافغانى أيضا (يحفظ المعمرون في دمشق عن احد باشوات الدولة العثمانية المرحوم «زاهد باشا الهبل» وكان يروى لجلسائه آخر ما أتي السلطان في قصره يوم الخلع قال : لما أضطربت الحوادث وتمردت (سلانيك) أخبر الصدر الاعظم سلطانه بعصيان جيش سلانيك فقال السلطان (طيب) ولم يزد عليها ثم أخبره بدخولهم العاصمة ... ثم باتجاههم نحو قصره ... ثم بمحاصرتهم القصر وفي ذلك كله يقول (طيب) ولا يزيد عليها وكان الصدر الاعظم شديد الهيبة للسلطان ثم دخل آمر القوى في القصر يستأذن السلطان بضرب العصاة والمقاومة فمنعه ثم عاوده القول بأنهم يريدون اذنه لهم فقال «أعرف جيدا مايريدون وهو خلعي أو قتلي وأنا شخص واحد فإذا امرتكم بالمقاومة سقط مئات القتلي منكم ومنهم وانتم جميعا افراد من هذه الأمة والأمة تحتاج اليكم فيما نزل بها من شدائد ثم دخل العصاة ولم يقاومهم أحد[١٧]» كان ذلك فى عام ١٩٠٩.

---

(١٤) ديوان شكيب ارسلان ص ١٠٢- ١٠٣.

(١٥) تاريخ فلسطين خليل طوطح ص ٢٦٩.

(١٦) ولكن الدكتور محمد محمد حسين يقول «... ويلجأ زعماء الاتحاديين فى الجيش إلى العنف فيقتحمون الاستانة ويحاصرون يلدز ويشتبكون مع رجال عبد الحميد فى معركة كبيرة تنتهى بالتسليم» الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر جـ ١ ص ٤٦ ولكنه لم يذكر المرجع الذى أعتمد عليه في هذه الفكرة.

(١٧) مجلة العربى عدد ١٦٩ ص ١٥٤ مقال الاستاذ الافغاني.

وتولي بعده أخوه محمد رشاد الذي لم يكن له من الأمر شيء حتى التوقيع أو الختم فقد وضعت جميعها بيد أنور باشا وأصبح يهود الدونمة الماسون يحكمون من وراء ستار عن طريق كبار رجالهم أمثال (جاويديك) و(الميتر سالم) و(عمانوئيل قرة صو) ولم يكن خافيا على أحد تغلغل وسيطرة الماسونية على جمعية الاتحاد والترقي يقول صاحب المقتطف «.... وحسبك شاهدا مافعلته جمعية الاتحاد والترقي العثمانية واكثر اعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها» كما اشار ايضا إلى دور الانجليز ايضا فى خلع السلطان عبد الحميد في مناسبة افتتاح محفل نيازى الماسوني في مصر برئاسة نعوم بك شقير مكان الحفل فندق كونتننتل في القاهرة وحضر الحفل ادريس بك راغب مدير المحافل الماسونية المصرية وإلى يمينة نعوم بك شقير رئيس محفل نيازى ثم حضره ستاك بك وكيل حكومة السودان وحضرة القائم مقام برتوبك من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ... فأديرت ألوان الطعام الفاخرة وتداول الجلوس المسامرات الفكاهية ثم شربوا نخب الجناب العالي والحضرة السلطانية وجلالة ملك الانجليز رئيس المحافل الماسونية الانجليزية السابقة ... وخطب برتوبك بالتركية واثني الثناء العاطر علي الحكومة الانجليزية والأمة الانجليزية لانها ساعدتا العثمانيين في هذا الانقلاب المبارك - ضد عبدالحميد - الذى فرض أساس الاستبداد ووطن اركان الحرية فى الممالك العثمانية وقال صريحا «ان الماسونية كانت المحرك الأول والمرشد الأكبر للجنة الاتحاد والترقى وأظهر الذين تكلموا بالعربية فضل الماسونية في تأليف القلوب بين كل الأمم على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم مستشهدين بذلك الاجتماع الذى جمع كثير من المصريين - والانجليز والترك من المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم وكلهم اخوان تجمعهم رابطة الحرية والإخاء والمساواة»(١٨).

هذا وفى ١٤ نيسان ١٩٠٩ أوفد البرلمان العثماني هيئة مكونة من الرئيس حكمت باشا وثلاثة أعضاء هم أسعد الطوبتالي باشا وغالب باشا وعمانوئيل قرة صو أفندى الى سراى يلدز لابلاغ السلطان قرار الخلع وقد كانت امارات التردد والتهيب على وجوه رجالها وكانت النشوة ظاهرة على ملامح قرة صو وعندما ابلغه عارف حكمت باشا قرار الخلع أجابه عبد الحميد

---

(١٨) المقتطف جـ ٣٦ (١٩١٠) ص ١٥٧ الحرية والاخاء والمساواة كان شعار حزب الاتحاد والترقي وهو شعار الماسونية وشعار الثورة الفرنسية أم الحريات.

«ذلك تقدير العزيز العليم» وبعد أن صمت برهة تابع يقول « لابأس فليكن ذلك لقد أمسكت قيادة الامة بخيط أرفع من خيط القطن مدة ثلاث وثلاثين سنة دون أن ينفصم فأتمنى لكم النجاح اكثر منى واعلموا أن المسؤولية التى تحملونها ثقيلة جدا واستغرق في تفكير عميق كمن يستعرض الاسباب الحقيقية التى أدت إلي خلعه والرهبة آخذه بأعضاء اللجنة كل مأخذ وفجأة انتفض السلطان عبد الحميد وأشار الى قرة صو متسائلا «ماهو عمل اليهود في مقام الخلافة ؟... ثم ألتفت الى بقية أعضاء الوفد وصاح بهم « بأى قصد أتيتم بهذا اليهودى إلي هنا؟ أنا أفهم حقكم كمسلمين في خلع سلطانكم وخليفة نبيكم ولكن ماهـي علاقـة هذا اليهودى بالذى جئتم من أجله...؟

وهناك ساد الارتباك أعضاء الهيئة وارتعدت مفاصل زعيم يهود سالـونيك وفى رواية أن السلطان انتهره وأخرجه من المجلس[١٩] لقد كان مجيء زعيم يهود سلونيك ضمن اللجنة التى تبلغ السلطان قرار الخلع أكبر دليل على اليد الطولى لليهـود في خلـع السلطـان - عبد الحميد[٢٠] لقد كان لموقف السلطان المتعنت اتجاه المطامع اليهودية في فلسطين السبب الاول في موقف اليهود منه موقف العداء والعمل على خلعه واذا استبعدنا هذا الغرض لم نجد هناك سببا مباشرا لهذا العداء فهم بأعترافهم كانوا يعيشون أرغد عيش في ظل الدولة العثمانية في الوقت الذى يضطهد ويحرق فيه اليهود فى أوروبة.

وفى رسالة السلطان عبد الحميد إلى شيخه الشيخ محمود افندى أبي الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في عصره حيث كانت تتم بينهما المراسلات عن طريق أحد الحرس - على السلطان عبد الحميد الذين أخذوا الطريقة الصوفية من الشيخ أبي الشامات اثناء وجوده فى استانبول في ضيافة (راغب رضا بك) مدير القصر السلطانى كما أخذ عنه عدد من وجهاء استانبول وموظفى القصر السلطانى وجوهه وحراسه وهي حجة دامغة في دور اليهود فى عزل السلطان عبد الحميد وهذا نصها:

---

(١٩) الحرب الصليبية الأوروبية التاسعة ص ١١٢ - ١١٨.

(٢٠) راجع الماسونية فى العراء ص ٢١٨-٢٢٢. وكتاب حقيقة الماسونية ص ١٧٤ - ١٧٦.

ياهو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد
رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .
اشبو عريضه مى طريقت عليه شاذليه نك شيخى وجودلره روح وحيات
ويرن جمله نك افنديسى بولنان الشيخ محمود افندى ابو الشامات حضرتلرينه
رفع ايديورم مبارك اللريني اوپرك ودعالريني رجا ايدرك سلام
وحرمتلريمى تقديمدن صكره عرض ايدرم كه . سنه حاليه شهر مايسك يكرمى
كونى تاريخلى مكتوبي واصل اولدي . صحت وسلامتده دائم اولديغكزدن دولايي
الله حمد وشكرلر ايتدم . افندم اوراد وشاذليه قراءتنه ووظيفه شاذليه يه
اللهك توفيقيله كيجه وكوندوز دوام ايديورم وبو وظيفه لرمى اداية موفق
اولديغمدن دولايي الله تعالى حضرتلرينه حمد ايدرم ودعوات قلبيه كزه دائما
محتاج اولديغمى عرض ايلرم . بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يى ذات
رشادتپناهيلرينه وذات سماحتپناهيلرينك امثالى عقول سليمه صاحبلرينه
تاريخى برامانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه يى هيچ بر سببدن ترك
ايتمه دم . انجق وانجق (جون ترك) اسميله معروف ومشهور اولان
اتحاد جمعيتنك رؤساسنك تضييق وتهديدى ايله خلافت اسلاميه يى تركه
مجبور ايدلدم . بو اتحادجيلر ارض مقدسه ده فلسطينده يهوديلر
ايچون بر وطن قومى تأسيسني قبول وتصديق ايتمكلكم ايچون اصرارلرينده
دوام براصرارلرينه وتهديدلرينه . هرشئه قطعيا بو تكليفي قبول ايتمدم
وبالآخره يوز اللى مليون التون انكليز ليراسي ويره جكلريني وعد ايتديلر

صورة الصفحة الأولى من الرسالة التي وجهها السلطان المخلوع «عبدالحميد» إلى الشيخ أبي الشامات باللغة التركية وبخط السلطان نفسه.

بو تكليفي دخي قطعيا رد ايتدم وكندلرينه شو سوزلرمله مقابلده
بولندم : جهكل ... يوز اللى مليون التون انكليز ليراسى دنيا دولوسى
التون ويرسه كز بو تكليفكزى قطعيا قبول ايتمم . بن اوتوز سنه دن
فضله برمدتده ملت اسلاميه يه وامت محمديه يه خدمت ايتدم . بوتون
مسلمانلرك وسلاطين وخلفاء عثمانيه دن آبا واجدادمك صحيفه لريني
قرارتمام . بناء عليه بو تكليفكزى مطلقا قبول ايتمام ديه قطعي جواب
ويردكدن صكره خلعمه اتفاق ايتدكلر وسلانيكه كونده رجكلريني بيلوردكلر
بوصورتله تكليفلريني قبول ايتدم . والله تعالى يه حمد ايتدمكه وايدرمكه دولت
عثمانيه يى وبوتون عالم اسلامى ابدي بر لكه اولاجق اولان تكليفلريني يعني
ارض مقدسه ده فلسطينده يهودي دولتي قورلمسني قبول ايتمه دم . ايشته
بوندن صكره اولان اولدي وبوندن دولايبده مولاي متعال حضرتلرينه حمد ايدرم
بو مهم مسئله ده شو معروضاتم كافيدر وشو سوزلرمله مكتوبمه ختام ويريورم .
مبارك اللريكزى اوپرك حرمتلريمى قبول بيورمكزى سزدن رجا واسترحام ايدرم
اخوان واصدقائمك جمله سنه سلاملر ايدرم . ايا معظم استاذم . بو بابده سوزمى
اوزاتدم محافظه طالى سماحتپناهيلرى وبوتون جماعتكزك معلومى
اولمق ايچون اوزاتمغه مجبور اولدم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في 22 ايلول 1329 خادم المسلمين عبد الحميد بن عبد المجيد

صورة الصفحة الثانية من رسالة السلطان إلى الشيخ أبي الشامات وقد ظهر في أسفلها توقيع السلطان عبدالحميد وتاريخ الرسالة.

ياهُـــوْ(٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام وأتم التسليم على سيدنا رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين، أرفع عريضتى هذه إلى شيخ الطريقة العلمية الشاذلية إلى مفيض الحياة، إلي شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندى ابى الشامات واقبـل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامى اعرض أننى تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٢ مارس فى السنة الحالية وحمدت المولي وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيـــدى:

أننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الاوراد الشاذلية ليلا ونهارا وأعرض أننى مازلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة. بعد هذه المقدمة أعرض إشادتـكم وإلى أمثالـكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الاتية كأمانة فى ذمة التاريخ «اننى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى اننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة وان هؤلاء الاتحاديين قد اصرّوا وأصرّوا عليّ «بأن أصادق على تأسيس وطن قومـي لليهـود في الاراضي المقدسـة (فلسطين) ورغم أسرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا واجبتهم بهذا الجواب

(٢١) هذا النداء لا يجوز في قواعد النحو العربى اذ يمنع النحاة نداء ضمير الغائب بالاتفاق.
راجع كتاب جامع الدروس العربية جـ ٣ ص ١٥٠ ولكن الصوفية يقولون انه ليس ضميرا بل هو علـم ويضبطونه هكذا «هوْ» وهم يحرصون على التعبير عن مواجيدهم اكثر من التزامهم بقواعد اللغة.

القطعي الآتي : «انكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا - فضلا عن (١٥٠) مليون ليرة انجليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا وبوجه قطعي . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية مما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي واجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي. وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وابلغوني أنهم سينفوننى الى (سلانيك) فقبلت هذا التكليف الاخير هذا وحمدت المولي وأحمده أننى لم ألطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامى بهذا العار الابدى الناشيء عن تكليفهم باقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين...وقد كان بعد ذلك ماكان ولذا فاني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال وأعتقد ان ماعرضته كاف فى هذا الموضوع الهام وبه اختم رسالتى هذه ألثم يديكم المباركتين وارجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى وسلامي الى جميع الاخوان والأصدقاء.

يأأستاذى المعظم: لقد أطلت عليكم ولكن دفعنى لهذه الاطالة أن نحيط سماحتكم ونحيط جماعتكم بذلك علما أيضا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

فى ٢٢ أيلوك ١٣٢٩هـ

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيـــــد

هذا وقد نشرت الرسالة ضمن مقال للاستاذ سعيد الافغاني فى مجلة العربى عدد ١٦٩. وذكر الاستاذ الافغاني أن هذه الرسالة مترجمة عن النسخة الاصلية بخط السلطان عبد الحميد باللغة التركية وقد نشرت مجلة انجليزية اسلامية نص الرسالة بالانجليزية بعد مقدمة طويلة وقد فضلنا الاعتماد على الترجمة العربية المأخوذة عن التركية مباشرة والمجلة هى Impact Muslims: International Fortnight London 23 March- 12 April 1973 Vol 2: 21.

ونشرت مجلة العربى أيضا فى عددها رقم ١٧٨ ص ٥٢ - ٥٨ مقالا فى الرد على الاستاذ سعيد الافغاني بعنوان (السلطان عبد الحميد طاغية وليس خليفة) للاستاذ عبد الله احمد

حسين يعتمد فيه علي المراجع التى روجت ماادعته جمعية الاتحاد والترقي من بطش واستبداد وظلم عبد الحميد علما بأن موقف هذه الجمعية من الاسلام والعروبة موقف لا تحسد عليه.

وينبغي لنا أن نقول : ان هذه الرسالة لم تضف أى جديد في موضوعها سوى انها وثيقة من السلطان عبد الحميد لاثبات دور اليهود في الاحزاب والجمعيات التى كانت تثور على السلطان منادية بالدستور والحرية فى الظاهر ،وهدم الخلافة فى الباطن حتى اتقدت شرارة الخلاف سافرة أمام رفض السلطان عبد الحميد الموافقة على اقامة الوطن القومي اليهودى فى فلسطين حيث قدم السلطان المؤمن عرشه ليكون الثمن وقد كان هذا معروفا بحقيقته لمثقفى الامة العربية أمثال الامير شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والشيخ يوسف النهاني والمؤرخ الاستاذ محمد جميل بيهم وغيرهم من الذين بقى ولاؤهم للدولة العثمانية حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم .

وماتسلّم الاتحاد والترقى الحكم حتى انطلقت القصائد والتأييدات ترحيبا بالاحرار الدستوريين الذين كثيرا ماطالبوا بالاصلاح ناسبين للسلطان عبد الحميد كل الانحطاط والتأخر الذى أصاب الدولة وفي جميع الميادين وكان بعض هذه القصائد يرثي للسلطان عبد الحميد وبعضها يشمت به.

فهذا شوقي[٢٢] يعزّي السلطان عبد الحميد ويرثي له أما حافظ ابراهيم[٢٣] فقد رثى له حتى بكاه ثم انقلب وأخذ يهجو السلطان في قصيدته[٢٤] التى القاها فى الازبكية في الاحتفال بعيد الدستور العثماني بعد عزل السلطان بثلاثة أشهر ١٩٠٩.

أما الشاعر أحمد محرم فقد غلب عليه الوفاء. أما ولي الدين يكن وهو من حزب الاتحاد والترقى فقد هجا السلطان عبد الحميد ونقض قصيدة شوقي السالفة الذكر وحوَّل كل حسنة ذكرها شوقي إلى نقيضتها من المساوىء.

أما بلاد الشام فلا شك أن المحبين للسلطان عبد الحميد كثيرون لانها تابعة للدولة

(٢٢) الشوقيات جـ ١ ص ١٣٦.

(٢٣) ديوان حافظ ابراهيم جـ ٢ ص ٤٢

(٢٤) الديوان جـ ٢ ص ٤٨.

العثمانية بعكس مصر المستقلة عنها ولان - الناقمين على السلطان عبد الحميد كانوا يغادرون إلى مصر فلم يبق في بلاد الشام الا المحبين الخلص له لذلك كان خلع السلطان عبد الحميد شديدا على الشاميين لانهم كانوا محظيين ومقربين له وقد وصلوا إلى وظائف سامية فى الاستانة مثل أبى الهدى الصيادي(٢٥) وأحمد عزت باشا العابد(٢٦) ويكفي أن شيخ السلطان عبد الحميد كان شاميا ولمّا شُهِرَ عن تمسك السلطان عبد الحميد بفلسطين في مقاومته لاغراءات اليهود شعروا أن السلطان عبد الحميد محسوب عليهم وانهم المقصودون بخلعه أكثر من غيرهم لذلك وجدنا قصائد مرّة فى هجاء العهد الجديد فى الاستانة فهذا الشيخ النبهانى(٢٧) يمدح أبا الهدى الصيادى بعد ان أفل نجمه بخلع السلطان عبد الحميد، ويبدو أن الشيخ النبهاني زار الاستانة فرآها قد تغيرت عما كان يعرفها عليه وأصبح العربى غريبا فيها نتيجة لدعـوة التتريك التى أعلنها الاتحاديون يقول فيها:

تذكر دهرا بالعقيق تصرمـــــــــــا ... فواصل سفح الدمع فى خده دمـــــــا
وهبت عليه من ربا الشام نسمـــــــة ... فكان يفيض النفس لما تنسمـــــــــا
وأبـــكاه قوس السحـــب لمّا بدا له ... فاذكر من ليلى سـواراً ومعصمـا

الى ان يقول :

ويممت دار الملك أحسب أنهـــــــــا ... الى اليوم لم تبرح الى المجد سلمـــــا
فالفيتها قد اقفرت من ربوعهـــــا(٢٨) ... ولم يبق فيها الفضل الا توهمـــــــا
حوت قوم سوء اسلموا اى نفوسهـــــم ... الى الكفر الا من له الله سلمـــــا(٢٩)
وألفيت فيها أمة عربيـــــــــــــة ... يرى القوم منها امة الزنج أكرمــــــا
ومانقموا منا بنى العرب خصلـــــــة ... سوى أن خير الخلق لم يك أعجمــــا

---

(٢٥) سورى من قرية خان شيخون من أعمال المعرة فى سوريا أصبح شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية.

(٢٦) سورى من دمشق وصل الى وظيفة الكاتب الثانى بعد الصدر الاعظم مباشرة وبجهوده مد الخـط الحـديد الحجازى وكان معروفا بعقله الادارى.

(٢٧) فلسطينى من قرية اجزم قضاء حيفا ١٨٤٩ - ١٩٣٢ أصبح رئيسا لمحكمة الحقوق العليا في بيروت شهر بمدائحه النبوية وتوفى في بيروت.

(٢٨) يقصد جماعة السلطان عبد الحميد وأعوانه.

(٢٩) يقصد رجال الأتحاد والترقي.

ولكن حجاب الحقد أعمى قلوبهـــم فلـم ينظرونا من ورا حجب العمـــى
بني اللؤم اني ماتكلمت هاجيـــا ولكن قلبى من جفاكم تكلمـــا
ولو لم يكن قصدى مديح أبى الهـــدى لجرعتكم لوذقتم الهجو علقمـــا
فاني على رأى لزوم هجائكـــم أرى المدح فى فرع النبوة الزمـــا[٣٠]

والحقيقة ان شخصية السلطان عبد الحميد لم تتم دراستها على حقيقتها[٣١] حتى الان ذلك ان الدعاية المضادة التى بثها حزب الاتحاد والترقي والجهات الاخرى لاهداف دينية وسياسية صوّرت السلطان عبد الحميد بالطاغية وصاحب الملذات بالاضافة إلى أن المصادر الاصلية لدراسته قد ملكها الاتحاديون فزيفوها أو أتلفوها وماكان منها فى البلاد العثمانية قد استولى عليها الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي الحاكم الجديد ونقلها إلى جامعاته ومكتباته، اما عن الدعايات المضادة فيقول الجنرال جواد رفعت أتلخان[٣٢] «وأدى هذا الرفض - اقامة الوطن القومي اليهودى فى فلسطين - الى اثارة دعاية يهودية عالمية ضد الدولة العثمانية متخذة من الافتراءات والاكاذيب سلاحا لها وكانت هذه الاكاذيب والافتراءات من القوة بحيث لا يمكن للانسان ان يقف أمام تيارها الجارف ... وكانت تتضمن امثال هذه الكلمات « لاحرية فى الدولة العثمانية» «والاستبداد يخيم عليها » «السلطان يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر الى البحر» ويقول الجنرال ايضا «...وفي الواقع أن جمعية الاتحاد والترقي التى خلعت السلطان عبد الحميد عن عرشه هي التى أقامت الاستبداد بعد ذلك وشهدت البلاد من المآسي مالم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون انفاسهم الاخيرة على أعواد المشانق التى نصبت فى مختلف أنحاء البلاد أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهي وقوع ادارة الحاكم تحت تأثير النفوذ الماسوني

(٣٠) حصلت على هذه القصيدة من الاستاذ أكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت حيث أجتمعت به في بيته فى شهر ديسمبر ١٩٧٤ وقد حصل عليها الاستاذ زعيتر من الشيخ عبدالهادى راوية شعر الشيخ النبهاني وأستاذ السفير الأردنى المذكور.

(٣١) لعل الاحداث السياسية المعاصرة للشعب الفلسطينى من تقتيل وتشريد ان تعيد إلى الأذهان المواقف البطولية للسلطان عبد الحميد وغيره من ابطال المسلمين الذين سجل لهم التاريخ مثل هذه المواقف.

(٣٢) الجنرال جواد رفعت اتلخان احد ابطال الجيش التركي فى حرب البلقان والقرم.

اليهودى وكأن الارض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذوات ابنية شاهقة من مناطق حيفا ويافا والرملة والكرمل وهكذا نرى أن أسس اسرائيل قد أرسيت بأيدينا وأن طلعت باشا (مأمور البريد السابق) رئيس وزراء الحكومة العثمانية لم يكن على علم بخفايا الامور لانه كبقية الغافلين كان قد صدّق المزاعم الماسونية التى تتغنى بالحرية والمساواة والاخاء البشرى والسلام العالمي، ولقد انهارت الدولة العثمانية ولفظ طلعت انفاسه الاخيرة غريبا فى بلاد اجنبية برصاص الماسونية اليهودية[٣٣] هذا وقد اشارت المجلة الانجليزية التى نشرت نص رسالة السلطان عبد الحميد الى شيخه ابى الشامات اشارت إلى مصادر دراسة السلطان عبد الحميد ومادار حولها من شبهات.

وخلاصة القــول:

أولا : ان العقيدة الاسلامية هي التى عقلت السلطان عبد الحميد عن التفريط بفلسطين.

ثانيا : لم يكن السلطان عبد الحميد فريدًا فى موقفه هذا في تاريخ المسلمين فقد خلدت كتب التاريخ مواقف أمثاله بعضهم شهر وعرف بمواقفه هذه وبعضهم لا يزال ينتظر من ينصفه حقه من الباحثين. فقد ذكر المقرى فى نفح الطيب فقال: «من بديع أخبار الحكم[٣٥] ان العباس الشاعر توجه الى الثغر، فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول: واغوثاه بك ياحكم، لقد أهملتنا حتى كَلَبَ العدو علينا فأيّمنا وأيْتَمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التى أولها:

تململت في وادى الحجارة مسئـــــــدا	أراعى نجوما مايرين تغيـــــــرا[٣٤]
اليك أبا العاصي نضيت مطيتـــــــى	تسير بهم ساريا ومهجـــــــرا
تدارك نساء العالمين بنصـــــــرة	فانك أحرى أن تغيث وتنصـــــــرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف

(٣٣) أسرار الماسونية ص ٥٨ - ٦٠

(٣٤) مسئدا: السير بالليل أو السير السريع.

(٣٥) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلى وادى الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التى أغارت من أى أرض العدو كانت، فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها، وفتح الحصون والديار، وقتل من العدو عددا كثيرا وجاء إلى الوادى فأمر باحضار المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب رقاب الاسرى - بحضرتهم وقال للعباس سلها هل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة: والله لقد شفى الصدور وانكى العدو وأغاث الملهوف، أغاثه الله وأعز نَصرّه. فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال:

ألم تر ياعباس أني أجبتهـــــــــا على البعد أقتاد الخميس المظفـــــــرا
فأدركت أوطارا وابردت غُلَّـــــةً وَنَفَّسْتُ مكروبا واغنيت مُعْسِـــــرا

فقبل العباس يده وقال: نعم، جزاك الله خيرا عن المسلمين»(٣٦)

هذا وقصة المعتصم مع المرأة التى استغاثت به، ونَجْدَتُهُ لها مشهورة، وأمثال هذه البطولات فى التاريخ الاسلامي كثيرة فالأمة الاسلامية لم تعقم الابطال والمخلصين فيها «الخير فيّ وفي أمتى إلى يوم القيامة» ولعل الكوارث التى تنزلُ في البلاد والعباد تكون لتذكيرهم بغفلتهم ليصلحوا الخلل في كيانهم ويعودوا الى ربهم فتكون الكارثة سببا لاجتماع الأمة بعد فرقتها، وبابا لتوبتها بعد غفلتها. وصدق الله العظيم اذ يقول: «(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم)» وقوله «(وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا)» وقوله «(نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون)» صدق الله العظيم.

---

(٣٦) نفح الطيب جاص ٣٢١ - ٣٢٢.

مراجع البحـــث

١ - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر محمد محمد حسين دار النهضة العربية ٧ الثالثة ١٩٧٢.

٢ - أسرار الماسونية جواد رفعت اتلخان منشورات المختار الاسلامي القاهرة ١٩٧٥.

٣ - تاريخ فلسطين عمر صالح البرغوتي وخليل طوطح مطبعة بيت القدس - القـدس ١٩٢٣.

٤ - الثورات سلامه موسي دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٥.

٥ - الحرب الصليبية ـ الأوربية التاسعة محمد الفرحاني بيروت ١٣٩٣ هـ

٦ ـ جامع الدروس العربية مصطفى الغلايينى الطبعة الرابعـة عشرة. المطبعـة العصرية صيدا.

٧ - ديوان احمد محرم مطبعة الفتوح بدمنهور ١٣٣٨ الطبعة الأولى.

٨ - ديوان حافظ ابراهيم ط الأولى مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٣٧.

٩ - الشوقيات - مطبعة مصر القاهرة.

١٠ - الماسونية فى العراء محمد علي الزعبى مؤسسة معتـوق اخـوان ط الأولى ١٩٧٢ - بيروت.

١١ - نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ـ احمد بن محمد المقرى التلساني تحقيق محمد محي الدين دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢ - الهاشميون والقضية الفلسطينية أنيس الصـايغ منشـورات جريدة المحـرر المكتبـة العصرية ١٩٦٦.

١٣ - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ حسان علي حلاق، الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٠.

الدوريـــــات

١٤ - ثمرات الفنون أنشأها الشيخ عبدالقادر القباني - بيروت صدرت فى ٢٠ - ١٨٧٥

١٥ - الجوانب أنشأها أحمد فارس الشدياق فى الاستانة تموز ١٨٦٠.

١٦ - المقتطف أنشأها يعقوب صروف في بيروت ثم انتقل بها الى القاهرة.

لمعرفة المزيد من المعلومات عن دور الماسونية فى خلع السلطان عبدالحميد وضياع فلسطين راجع ما يلى :

١ ـ الماسونية محمد السقا أميني وسعدي أبو حبيب منشورات رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

٢ ـ جذور البلاء عبدالله التل المكتب الاسلامي بيروت .

٣ ـ حكومة العالم الخفية شيريب سبيريدوفيتش ترجمة مأمون سعيد دار النفائس بيروت .

٤ ـ أحجار على رقعة الشطرنج الاميرال غاي كار ترجمة سعيد جزائرلي الطبعة الأولى ١٩٧٠ .

٥ ـ الماسونية ذلك المجهول صابر طعيمه دار الجيل .

٦ ـ شهادات ماسونية ـ حسين عمر حمادة دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق .